كتب

من الواضح أنّ أحدث كتب الأكاديمي الكوسوفي أنور حساني مختلفٌ عن كلّ مؤلّفاته السابقة، حتى ليبدو أقرب إلى «حصيلة العمر»؛ حيث تتداخل فيه الروافد الثقافية والقانونية التي كوّنت شخصيته واهتماماته ونظرته القلقة إلى واقع كوسوفو ومستقبلها

مقاربة كوسوفية للوضع الجيوسياسي والقلق من الأصولية

أنور حساني في «الطريق إلى دمشق»

محمد. م الأرناؤوط

يبدو عنوان هذا الكتاب الصادر في بريشتينا أواخر 2023 غريباً إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ مؤلّفه أنور حساني شخصية أكاديمية شغلت موقع رئيس المحكمة الدستورية في كوسوفو بين 2009 و2015، ورئيس جامعة بريشتينا، ولا يزال يشغل منصبه الأكاديمي أستاذاً للقانون الدولي في جامعة بريشتينا. وحتى في دراسته، لم يصل سوى إلى نصف الطريق بين بريشتينا ودمشق، حيث تابع في «جامعة بلكنت» المعروفة في أنقرة دراسته الماجستير والدكتوراه في القانون الدولي، بعدما تخرّج من كلية القانون في جامعة بريشتينا.

وعلى الرغم من مؤلّفاته المنشورة باللغة الإنكليزية («تفكّك يوغسلافيا وحالة كوسوفو: الجوانب القانونية والسياسية»، و«حق تقرير المصير والوحدة الترابية والاستقرار الدولي: حالة يوغسلافيا») وبالألبانية ودراساته في المجلات الأكاديمية، إلا أن هذا الكتاب الجديد يختلف عن كلّ كتبه الأخرى، حتى يبدو أقرب إلى «حصيلة العمر»، حيث تتداخل فيه الروافد الثقافية (التاريخ والأدب)، والقانونية التي كوّنت شخصيته واهتماماته ونظرته القلقة إلى الواقع/ المستقبل الكوسوفي، سواء من حيث القلق على مستقبل الإطار الجديد للدولة الكوسوفية في ضوء الاقتراب من الاتحاد الأوروبي، أو القلق من الأصولية الدينية في دولة كوسوفو التي هي الأولى في أوروبا من حيث نسبة المسلمين فيها.

الطريق إلى دمشق

يعترف المؤلّف بأن بذرة كتابه هذا «الطريق إلى دمشق» كانت مقالة نشرها في الملحق الثقافي للجريدة الكوسوفية الأولى «كوها ديتوره» عام 2013 عن التغيّر الذي حدث في العالم بعد تراجع الرئيس الأميركي الأسبق باراك أوباما عن تهديده بقصف مواقع النظام في سورية بعد تعرُّض المعارَضة في ريف دمشق للقصف بالغازات السامّة. فبعدما قارن رسالةَ أوباما بمهمّة القدّيس بولس، آملاً أن ينتهي كابوس القصف على المدنيين السوريين الأبرياء، وافق أوباما على التعاون مع الرئيس الروسي بوتين على «إدارة» الأزمة التراجيدية التي كانت تلفّ سورية. وحسب المؤلّف، فقد استغلّ الرئيس بوتين تلك اللحظة بذكاء، حيث عزّز بقاء الرئيس السوري ونظامه وأدرك بوضوح أن الغرب ليس مستعدّاً للمواجهة، وهو ما شجّعه لاحقاً على تحدّي الغرب وضمّ شبه جزيرة القرم عام 2014 وشنّ الحرب على أوكرانيا عام 2022. وبعبارة أُخرى، يرى المؤلّف أنّ كلّ ذلك ما كان ليحدث لو أنّ أوباما بقي على موقفه، ولذلك يعتبر أنّ ذلك التراجع كان «نقطة تحوُّل» في السياسة الخارجية الأميركية لصالح التمدّد الروسي في الشرق الأوسط وشرق أوروبا والبلقان، الذي لا يزال يعاني من آثار تفكّك يوغسلافيا إلى سبع دول متنافرة. ومن هذا التنافر العلاقةُ المتوتّرة بين صربيا وكوسوفو. ففي كتابه هذا يوضّح الحرص على أن يكون الدستور الكوسوفي الجديد (2008) مختلفاً عن دساتير دول يوغسلافيا السابقة من حيث ألّا تكون الدولة المستقلّة الجديدة لإثنيةٍ أو أغلبيةٍ قوميةٍ، بل دولة مركزية تقوم على المواطنة التي تساوي بين الجميع بغضّ النظر عن الخلفيات الإثنية أو الثقافية. ولكن هذا النموذج، الذي يساوي بين الجماعات (الألبان والصرب والأتراك والبشناق والغجر وغيرهم)، يبدو للمؤلّف أنّه الآن مهدَّد بالاختراق والتحوّل مع الاقتراب من الاتحاد الأوروبي الذي فرض على صربيا وكوسوفو عام 2023 «اتفاقية بروكسل» و«ملحق أوهريد»، مما يتيح تأسيس حكم ذاتي إقليمي للأقلّية الصربية قد يكون جسراً لشكل جديد من العلاقة بين الدولتين. ومع أنّ المؤلّف كان أوّل رئيس للمحكمة الدستورية في كوسوفو (2009 - 2015)، التي يُفترض أن ترد أية اتفاقية دولية أو أية كيانات جديدة تتعارض مع أسس الدستور، إلّا أنّه يتوسّع في الفصل الأخير «حول الدستور المادي»، الذي كان القانونيُّ الإيطالي كوستانيتو مورتاتي .K Mortati أوّلَ من بلور مفهومه، الذي يميّز بين النص القانوني والسياق المادي السائد الذي يمثّل القوّة الحاكمة. ففي هذه الحالة، تسعى القوّة السياسية المسيطرة إلى التأثير في فهم ما يُقدَّم للمحكمة الدستورية وفي فهم مخرجاتها كي تحقّق أهدافها. ومن هنا، فإن العنوان الكامل للفصل «الدستور المادي لـ ألبين كورتي» على اسم رئيس الحكومة الكوسوفية الذي تولّى لأوّل مرّة في 20021 الحكم بغالبية من حزب واحد (تقرير المصير)، الذي لم يقم بتعديل الدستور كي يحمل اسمه، بل لكونه يمثّل «السياق المادي» الذي يمكن أن يؤثّر على فهم الدستور.

القلق من الأصولية الدينية

في هذا الكتاب، لا يُعبّر المؤلّف فقط عن قلقه من تأثير «السياق المادي» على نصّ الدستور، بل إنّه يعبّر أيضاً عن تنامي «التغيّر الثقافي» الحاصل للغالبية الألبانية (حوالي 95% من السكّان)، الذي يُهدّد بدوره علمانية الدولة ويُنذر بأن تتحوّل كوسوفو إلى «دولة مسلمين» عوضاً عن «دولة مواطنين». وينطلق المؤلّف من أنّ بعض الدول الأوروبية كانت لها تحفّظاتها على التدخّل العسكري لحلف «الناتو» في 1999 لإخراج القوّات الصربية من كوسوفو، خشية من أن يؤدّي ذلك إلى بروز «دولة مسلمة» في كوسوفو، وهو ما عبّرت عنه صراحة وزيرة الخارجية الأميركية مادلين أولبرايت في مذكّراتها. فالتموضع الجيوسياسي، حسب المؤلّف، هو الذي يُقرّر سياسة الاتحاد الأوروبي تجاه كوسوفو، ولذلك فإنّ تحوُّل كوسوفو إلى «دولة مسلمة» يمكن «أن يُغيّر بشكل جذري مقاربة أوروبا والغرب تجاه كوسوفو». ويبدو أنّ المؤلّف يبالغ في هذا القلق، لأنّ ألبانيا المجاورة، وهي أوّل دولة أوروبية بغالبية مسلمة (70%)، كانت قد دخلت «عصبة الأمم» في 1920 وأقرّت في العام ذاته مع الولايات المتّحدة الأميركية حقّ المرأة في الانتخاب. ولذلك يحاول المؤلّف في لقاء معه (جريدة «إكسبرس»، 29 آذار/ مارس 2024)، أن يوضّح ذلك بالقول «إنّ قلقي الأكبر من الانتشار الخرافي للإسلام الراديكالي بين الكوسوفيّين، أي الإسلام السلفي والأيديولوجيات التي تدعم ذلك»، لأنّ «الإسلام التقليدي، الإسلام الحنفي، لم يجلب معه أصولية عبر القرون السالفة ولم يخلق مشكلة في التواصل مع الغرب».

وفي الحقيقة إنّ الزائر العربي أو المسلم لكوسوفو لا يخرج بمثل هذا الانطباع، حيث إنّ الكاتدرائية الكاثوليكية الضخمة في قلب العاصمة بريشتينا التي تواجه المكتبة الوطنية التي تحمل اسم القسّ بيتر بوغداني المعروف بكتاباته المعادية لرسول المسلمين لا تُوحي بذلك، بل بتعايش تاريخي بين الكاثوليك (حوالي 2%)، وبين الأغلبية المسلمة. ولكن هذا لا ينفي أنّ «الأصولية» وصلت إلى كوسوفو في أواخر القرن الماضي بدعم من بعض الدول العربية، على اعتبار أنّ الألبان ليسوا مسلمين حسب معايير الأصولية الموجودة هناك. ولكن هذه «الأصولية» التي جاءت بدعم كبير من الخارج لم تعد مرغوبة أو موجودة في موطنها الأصلي، ولذلك فإنّ وجودها لم يعد يحظى بدعم أو تمويل الموطن الأصلي لها، وبالتالي لن تشكّل تهديدا لـ«التيار العام» الموجود عند المسلمين في كوسوفو كما يصوّره المؤلّف. والمهمّ هنا أنّ الهيئة التي تُمثّل المسلمين دستورياً (الجماعة الإسلامية)، بما لديها من مدارس وكلّية جامعية منخرطة تحت مظلّة جامعة بريشتينا الحكومية وبما تصدره من مجلّات وكتب، والمسؤولة عن الجوامع في كلّ كوسوفو، هي المعيار في الحُكم على طبيعة الإسلام والمسلمين في كوسوفو، وليست أيّة جهة أخرى تدّعي احتكار فهم الإسلام وتمثيله لتُشكّل مثل هذا القلق عند المؤلّف.

(كاتب وأكاديمي كوسوفي سوري)

خوف في غير مكانه

يبالغ الأكاديمي ورئيس المحكمة الدستورية في قلقه من تنامي «التغيّر الثقافي» الحاصل للغالبية الألبانية المسلمة (حوالي 95% من السكّان)، الذي يُهدّد بحسبه علمانية الدولة ويُنذر بألا تعود كوسوفو «دولة مواطنين»، فتحولها إلى «دولة مسلمين» بحسبه، يمكن «أن يُغيّر بشكل جذري مقاربة أوروبا والغرب تجاه كوسوفو». وفي الحقيقة حتى الزائر لكوسوفو لا يمكن أن يخرج بمثل هذا الانطباع.

تمدّدٌ روسي في الشرق الأوسط وشرق أوروبا والبلقان

نموذج كوسوفو مهدَّد مع اقترابه من الاتحاد الأوروبي

أنور حساني

نظرة أولى

العنصرية في الخليج: إشكاليّة السواد (التاريخ - الثقافة الشعبية - الرواية)، عنوان كتاب للباحثة القطرية نورة محمّد فرج صدر عن «دار التنوير». يفحص العمل تاريخ العنصرية في الخليج من خلال ممارسة «الاستعباد» في حقّ السُّود، في محاولة، كما تقول المؤلّفة، لفهم العنصرية التي تعيشها المجتمعات الخليجية اليوم، والتي تقول إنّها ليست حالةً طارئة. الموضوع لا يندرج تحت «الثالوث المحرّم»، لكنّ الواقع الممارس في المجتمع الخليجي يقول إنّ المحرّمات هي أكثر اتّساعاً، وإنّها تعود بشكل ما لتتقاطع مع السُّلطة، وإن بدت بعيدة عنها للوهلة الأُولى.

الكهف: مستشفى سرّي تحت الأرض وقصة بقاء امرأة واحدة في سورية، عنوان الكتاب الصادر عن «ناشونال جيوغرافيك»، حاورت فيه الصحافية رانيا أبو زيد الطبيبة السورية الشابّة أماني بلّور (1987)، التي أدارت أحد المستشفيات الميدانية تحت الأرض في ريف دمشق إبّان الثورة السورية، حيث تطوّعت في بداية الأمر بعيادة محلّية قبل أن تجد نفسها في أعماق طبّ الطوارئ، ومعنيّة بشكل مباشر بحماية الأطفال من هجوم فظيع بغاز السارين، فقدت فيه كثيراً من زملائها. ورغم نشأتها في بيئة محافظة تجاه النساء لكنّها تركت بصمتها في لحظة سياسية فارقة في حياة بلدها.

الإغراء الأخير للغرب.. تداعيات الحرب على غزّة، عنوان الكتاب الذي صدر عن «منشورات الخيام» للباحث المغربي حسن أوريد. يناقش الكتاب جملة التحوّلات التي أحدثها «طوفان الأقصى»، وفي مقدّمتها اهتزاز غاية وجود «إسرائيل» أنها كانت تعتبر وطناً آمناً لليهود الذين تعرّضوا لكلّ أشكال الظُّلم في أوروبا، وكذلك الأسطورة التي اخترعها الكيان وتتمثل في كونه واحة للديمقراطية في المنطقة، ولا يرى المؤلّف أن الصراع الدائر في فلسطين يعكس نوعاً من الحرب الحضارية أو الشرخ الحضاري بين الشرق والغرب، إنما هو صراع بين الحقّ والباطل.

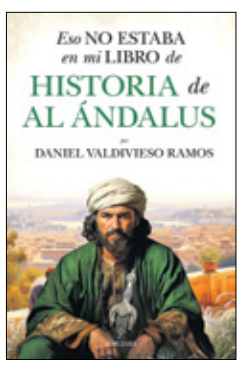

ما مدى صحّة أساطير الأندلس التي بقيت حتّى يومنا هذا؟ وكيف كان سيعيش المسلمون والمسيحيون واليهود معاً؟ ومن هو الخليفة الذي عاد من الموت مرّتين؟ وكيف عاش الأندلسيون قبل وصول المرابطين والموحّدين؟ وماذا نعرف حقاً عن شخصيات مثل زرياب أو المنصور أو ولّادة أو المعتمد؟ يأخذنا الباحث الإسباني دانييل رامون فالديفييسو في كتاب **ما لم يكن موجوداً في كتابي عن تاريخ الأندلس**، الصادر عن دار «ألموزارا»، في رحلة مُثيرة عبر تاريخ الأندلس، ويكشف أسرارها ويستكشف أركانها الرائعة. منذ لحظة الفتح عام 711 حتى لحظة السقوط عام 1492.

تتناول رواية «**طنجرينا**»، للروائي الإسباني خابيير بالينثويلا، الصادرة عن «منشورات المتوسط»، بترجمة محمّد العربي غجو، قصة مدينة آثمةٍ، حيث الجريمة تتحوّل إلى أدبٍ، وحيث تعيش امرأة جميلة في وضع مضطرب، وحيث سيبولفيدا، أستاذ بـ«معهد ثربانتس» في طنجة، يحاول الاحتفاظ بعلاقته السرّية مع واحدة من طالباته، لكنه سيجد نفسه متورّطاً في تحقيق خطير حول تعاملات رجال الأعمال والسياسيّين الإسبان الموجودين في المغرب. إنها طنجة في سنوات الخمسينيات، حيث يلتقي الرُّقي مع الحياة البوهيمية، مما جعل المدينة واحدة من أجمل المُدن في العالَم.

عن «المركز الثقافي العربي»، صدرت طبعة جديدة من كتاب **ذكريات العمل الوطني والقومي** للسياسي الكويتي الراحل أحمد الخطيب (1927 - 2022)، بالتزامن مع ذكرى رحيله الثانية. يستعيد الخطيب، في هذه المذكّرات، محطّات من حياته؛ بدءاً بالكويت ثمّ بيروت حيث درس في «الجامعة الأميركية» بين 1942 و1952، وهناك تعرّف إلى المفكّر قسطنطين زريق الذي دعاه لحضور حلقات ثقافية يديرها، لتكون هذه المشاركة البوابة للولوج إلى حلقة من زملائه في الجامعة الأميركية: جورج حبش، ووديع حداد، وهاني الهندي لتشكيل ما سيعرف في ما بعد بـ«حركة القوميين العرب» عام 1952.

للكتاب الذي نُمسكه بين يدينا أو نفتحه على شاشة الحاسوب في أيّ مكانٍ كنّا، قصةٌ تكمُن خلف تطوّره ووصوله إلى شكله الحالي الذي نعرفه، وذلك من خلال تبدُّل شكل وطنه الذي يعيش فيه، ألا وهو المكتبة. يروي لنا كتاب «**المكتبات: تاريخ مُضطرب**»، للكاتب الأميركي ماثيو باتلز، والصادر عن دار «صفحة 7» بترجمة أسامة إسبر، قصةَ تطوُّر المكتبة منذ العصور القديمة إلى عصرنا هذا، وفي سياق هذا التطوّر يُضيء التحوّلات التي طرأت على الشكل المادّي للكتاب من اللوح الطيني والشمعي واللفافة والمخطوط إلى شكله الحالي كما نراه على رفوف المكتبات.

ما السرُّ في المنامات؟ وهل هي لوحة ترتسم عليها ليلاً آمالُ المرء واهتماماتُه وهواجسه، أم أنها أداة أقوى تؤثّر بحياة الشعوب ومصائرها؟ هذا ما تحاول الإجابة عنه المُختارات التي جمعها الباحثان لينا الجمّال وبلال الأورفه لي من كتاب «القادري في التعبير» للدينوري (توفّي بعد 400هـ/ 1010م)، وصدرت عن «الدار العربية للعلوم ناشرون»، بعنوان **إنّي رأيتُ في المنام...** تتميّز المختارات بأنها تجمع بين تقاليد ثقافية إسلامية متنوّعة عربية وفارسية، وأُخرى هندية ويونانية، فتعكس تعدّد المشارب التي أفاد منها «عِلمُ التعبير».